

مقومات أدب السجون في روايتي الوشم لعبدالرحمن مجيد الربيعي و بعد از عروسي چه گذشت لرضا براهني

معصومه نعمتي قزويني^١، صابره سياوشي^٢، فرشيد رحمتي تاب^٣

١. أستاذة مساعدة في اللغة العربية وآدابها بأكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
٢. أستاذة مساعدة في اللغة العربية وآدابها بأكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
٣. ماجستير في اللغة العربية وآدابها بأكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية

تاريخ القبول: ١٤٤٠/١١/٢٥

تاريخ الوصول: ١٤٤٠/٩/٧

الملخص

أدب السجون هو فرع من فروع الأدب الغنائي الذي أوجدته الظروف السياسية والاجتماعية في مختلف المجتمعات، كما هو تعبير عن المشاعر الصادقة للذين اعتقلوا بسبب دعوتهم للحرية، فتعرضوا للتعذيب والاضطهاد. من هؤلاء الكتاب المعاصرين في الأدبين الفارسي والعربي الذين كانت لكتاباتهم بصمة واضحة في هذا المجال هما عبدالرحمن مجيد الربيعي المولود عام ١٩٣٩م ورضا براهني المولود عام ١٩٣٥م. رواية "الوشم" هي تجسيد لانحسار بعض التيارات السياسية كالحزب الشيوعي في العراق بعد هزيمة أول حكومة جمهورية في هذا البلد. كما أنّ رواية "بعد از عروسي چه گذشت"، تصوير للمواجهات العنيفة والمسيئة لعملاء السافاك للسجناء السياسيين. فعكست هذه الرواية صورة للوضع السياسي في عهد محمد رضا بهلوي. قامت هذه الدراسة، في إطار المنهج الوصفي-التحليلي وعلى أساس المدرسة الأمريكية للأدب المقارن، بمقارنة الروايتين من منظور أدب السجون. فنتائج هذه الدراسة تبيّن غرض الكاتبين من كتابة هذه الروايتين وهو تصوير المجال الفكري وكيفية تعامل الحكومات مع المثقفين في إيران والعراق. لكن الفرق في الوضع السياسي للبلدين أدّى إلى نهايات مختلفة لأبطال الروايتين.

الكلمات الرئيسية: أدب السجون، عبدالرحمن الربيعي، الوشم، رضا براهني، بعد از عروسي چه گذشت

١- المقدمة

١-١ مسألة البحث

أدب السجون هو صرخة الأحرار الذين رفضوا السكوت بوجه الظلم والاضطهاد والعبودية وتصدّوا للظلم حتى طُرِدَ هؤلاء الأحرار من أوطانهم بأسباب سياسية واجتماعية وعقائدية وألقوا في غياهب السجن وعانوا الذل والهوان وحرّموا أبسط

حقوقهم (آباد، ۱۳۸۰: ۱۱). ومن هؤلاء السجناء الشعراء والأدباء الذين رفضوا الظلم والاستبداد بأقلامهم وأودعوا السجون أثر تنديدهم بالحرية. فلهذا نستطيع أن نصف أعمالهم من ضمن الأدب الملتزم (زاهدي فر وآخرون، ۱۳۹۶: ۳۰) فرضا براهني^(۱) من إيران وعبدالرحمن مجيد الريعي^(۲) من العراق من الكتاب المعاصرين في الأدبين الفارسي والعربي من الذين قضوا فترة من حياتهم في السجن بسبب نشاطهم السياسي واستطاعوا أن يتركوا بصمة واضحة في ساحة أدب السجون بأعمالهم الأدبية.

يصور رضا براهني في روايته الظروف السياسية السائدة في إيران وخاصة وضع المثقفين في المجتمع عن طريق شخصية رحمت شهير-بطل الرواية- كما يقوم عبدالرحمن مجيد الريعي في رواية الوشم بتبيين الوضع السياسي والاجتماعي في العراق وهزيمة بعض التيارات الفكرية من خلال سرد قصة كريم الناصري بطل الرواية. فكان سبب اختيار الروائيتين للبحث والمقارنة بينهما هو التشابه الفكري لدى الكاتبتين وانتمائهما إلى الحزب اليساري وتشابه السياقات السياسية والاجتماعية ومن ثم تزامن كتابة الروائيتين.

۱-۲ أسئلة البحث

۱- ماهي المكونات المشتركة لأدب السجون في روايتي "الوشم" و "بعد از عروسي چه گذشت"؟

۲- ما هو القصد من كتابة هاتين الروائيتين؟

۱-۳ خلفية البحث

أ) الدراسات التي جرت حول موضوع هذا المقال هي:

- «حبسه سرایی در عربی از آغاز تا عصر حاضر»، أطروحة الدكتوراه لمريضه آباد، (۱۳۸۰ش)، جامعة فردوسی.
- «بررسی مؤلفه‌های ادبیات زندان در رمان شرق المتوسط اثر عبدالرحمن منیف»، لطاهرة زاهدي فر (۱۳۸۶ش، مجلة لسان مبین، السنة الثامنة، العدد ۲۸).
- «بوتلیقای داستان نویسی در آثار رضا براهنی»، رسالة ماجستير لآزينا كهريزي (جامعة رازی، عام ۱۳۸۹ش) شرحت الباحثة في هذه الدراسة طريقة كتابة القصة عند رضا براهني من حيث النمط الحديث حتى وصلت إلى ما بعد الحداثة. كما قامت الباحثة بتحليل بعض العناصر السردية في أعمال رضا براهني ومنها رواية بعد از عروسي چه گذشت؟
- «تحليل عناصر رواية در پنج اثر داستانی رضا براهنی»، رسالة ماجستير، اسما موسى فرسنگی (جامعة ولي عصر، عام ۱۳۸۹ش) قامت الباحثة في هذه الدراسة بتحليل عناصر السرد (الحبكة ووجهة النظر والشخصيات والحوار والمكان وطريقة الأداء) في أعمال براهني الخمسة وهي (بعد از عروسي چه گذشت؟، چاه به چاه، آواز مردگان، رازهای سرزمین من، آزاده خانم).

- «كنش طبقاتي وتأثير آن بر ادبيات داستاني ايران مطالعه موردی : رضا براهني» (رسالة ماجستير لمحمد رضا صدقي رضواني، جامعة تربيت مدرس، عام ١٣٩٠) شرح الباحث في هذه الرسالة حياة براهني وأفكاره اليسارية كما قام بتحليل خمس روايات من الكاتب وهي (رازهای سرزمين من، چاه به چاه، بعد از عروسی چه گذشت، ظل الله، آواز كشتگان).
- «البطل السياسي في الرواية العربية»، أطروحة الدكتوراه - علي المنصوري (جامعة الحاج لخضر - باتنة - ٢٠٠٨ - ٢٠٠٧) في الفصل الأول قام الكاتب بشرح بعض المفاهيم العامة للأدب والسياسة وفي الفصل الثاني قام بنقل معلومات حول السجن في الرواية العربية، والسجن السياسي، وفضاء السجن السياسي في الرواية العربية والسجون السياسية. جاء الباحث في هذا الفصل بتعريف أبطال بعض الروايات العربية ومن ثم قام بتحليل موجز لها وفي الفصل الثالث، قام بتحليل بعض عناصر السرد كالشخصيات، والزمان والحوادث في روايتي الوشم والشرق المتوسط.
- قام ابوذر گلزار وزميلين له في مقالة «بازتاب عنصر مكان در ادبيات زندان» (١٣٩٣ ش، مجلة كاوشنامه ادبيات تطبيقي، العدد ١٤) بتحليل دوافع الكاتبين بزرگ علوي وصنع الله ابراهيم في كتابة روايات حول أدب السجون.
- «بررسی تطبیقی ادبیات زندان در ورق پاره‌های زندان بزرگ علوی وشرق المتوسط عبدالرحمن منیف» لمحمد حسين محمدی (١٣٩٥ ش، مجلة كاوشنامه ادبيات تطبيقي، السنة ٦، العدد ٣٤).

٢. خلاصة الروايتين

٢-١. رواية الوشم

كتب عبدالرحمن مجيد الربيعي رواية الوشم عام ١٩٧٢م. تُعدّ هذه الرواية من أبرز الروايات العربية والأفضل من ضمن مئة رواية عربية. أكثر أحداث هذه الرواية تخصّ تجربة الكاتب في السجن (كاظم، ١٩٩٩: ١٢٧). قام الكاتب بسرد الأحداث السياسية والاجتماعية في العراق ونضال بعض المثقفين وهزيمتهم من خلال سلوك بطل الرواية، كريم الناصري وأحداث دخوله في السجن، بسبب نشاطه السياسي.

اعتقل كريم الناصري من قبل ألام الحكومة وبعد فترة تعاون معهم مقابل إطلاق سراحه والوعد بالإفراج. ولكن بعد الخروج من السجن تغير سلوك كريم الناصري تماماً حيث خان كلّ مبادئه وانتماءاته والحزب الذي كان يعمل معه. لا يمكن الوصول إلى حقيقة هذه الخيانة -خاصة من لم يجرب السجن- إلا من خلال التأمل في الظروف السياسية في العراق. تجري أحداث الرواية بعد ثورة ١٩٥٨م في العراق، حيث ابتعدحكم عبدالكريم قاسم عن أهداف الثورة ومبادئها. فشعرت الأحزاب والمثقفون الذين ناضلوا من أجل انتصار الثورة بالإحباط والهزيمة. وليست الخيانة نهاية القصة. أصيب كريم بعد خروجه من السجن بحالة اكتئاب وندم من عمله المشين وأيضاً انتماءه للحزب الشيوعي. انتقل من الناصرية إلى بغداد، فشغل نفسه ببعض الأعمال المسلية واللهو لكن هذه الأعمال لاتنسيه عمله المخزي الذي كان بمثابة وشم في الجلد حتى قرّر أن يغادر العراق.

۲-۲- رواية "بعد از عروسي چه گذشت"

كتب رضا براهني روايته عام ۱۳۵۳ ش / ۱۹۷۴ م، وبسبب مضمونها السياسي والظروف السياسية الصعبة لم يتمكن من طبعها، ولكن بعد انتصار الثورة الإسلامية نشرت هذه الرواية عام ۱۳۶۱ ش / ۱۹۸۲ م. قام رضا براهني في هذه الرواية بتبيين الوضع السياسي في بلده من خلال شخصية رحمت شهير بطل الرواية الذي تورط مع رجال السافاك بسبب مشاجرة مع مدير المدرسة فسبب الشاه أمام التلاميذ والمدرسين. رحمت شهير كان معلماً ويعتبر من شريحة المثقفين في المجتمع. قضى فترة من العقوبة في مقر اللجنة، وبعد التعذيب ساوموه للعمل معهم مقابل إطلاق سراحه. رغم أنه لم يمض سوى أشهر على زواجه وكان شغوفاً بالرجوع إلى حياته العائلية ورغم أنه قد عذب من قبل السافاك لكنه لم يرضخ لطلب قوات الامن (السافاك) ولم يتعاون معهم.

۳-المعالجة التحليلية للموضوع

من خلال دراسة مقارنة بين الروايتين، يتضح لنا أنّ أبرز مكونات أدب السجون فيها هو: وصف فضاء السجن أي بيئته والإمكانات المتاحة في السجن والأمور الصحية فيه، والحالة النفسية والروحية للسجناء، وحراس السجن، والتهديد والتعذيب، والاعتراف والحرية إزاء المساومة والتعاون ونهاية الأبطال.

۳-۱ وصف بيئة السجن المادية

بما أن كلا الكاتبين خاض نفس التجربة وهي الحبس، فمن المفترض أن تكون الصور الموجودة في الروايتين هي تجربة حقيقية للكاتبين في كفاحهما السياسي ودخولهما السجن.

الأمر التي عالجها المؤلفان حول فضاء السجن كانت تتسم غالباً بطابع سلمي؛ بمعنى أنّ كليهما أشار إلى ضيق المكان وحشد السجناء، وبناء السجن المتهالك، والعتمة وضيق التنفس، والزحمة والأصوات الصاخبة.

فأول سجن يدخل فيه كريم، إضافة إلى ضيق المكان لم تكن فيه نافذة لدخول الأضواء، لهذا يكون فضاء السجن الداخلي معتماً وضيقاً. كما لم يكن هناك مجال لدخول الهواء داخل السجن، ثم ينتشر دخان السجائر في المكان «جو خائق تفوح منه رائحة الأنفاس وعرق الأجساد ودخان السجائر لا يجد فجوة ينفذ منها» (الربيعي، ۲۰۰۲: ۴۱).

وفي المقابل يقضي رحمت شهير معظم وقته خاصة بعد تعذيبه، في زنزانته ويبقى هناك ماكثاً لعدة أيام. فكان السجن الانفرادي مكاناً ضيقاً ومظلماً. «عندما يفتح عينيه لم يعرف المكان، مكان مستطيل أو شبه مستطيل قياسه متران في متر ونصف، ويوجد مصباح من وراء النافذة المشبكة فوق الباب يحترق ويحترق فقط لا غير» (براهني، ۱۳۶۱: ۹۱). فالفضاء الذي يرسمه الكاتب في هذا المقبوس فضاء مظلم ومريك، وهو يكشف عن مدى اضطهاد السجناء.

٣-٢ الامكانيات والمرافق الصحية

إنّ توفر بيئة نظيفة وصحية للسجناء حقٌّ قانوني لهم، وتشجيعهم على النظافة والالتزام بها سيؤدي إلى تركية أخلاقهم وسيكون وقاية لهم من أنواع المفاسد الأخلاقية التي تحيط بهم في السجن. أمّا تقديم الخدمات فهي تتوقف على عدد السجناء ومساحة السجن، وبناءه الهندسي وقدمته ومن جهة أخرى تتوقف على طريقة إدارة السجن (عبدي، ١٣٩٣: ٢٢٣).

يصف كريم الناصري الوضع الصحي المأساوي للسجن والسجناء فنجد يقول: «جو خائف تفوح منه رائحة الأنفاس وعرق الأجساد التي لم تعرف الاستحمام منذ شهور والأرض المائية بالفضلات والبصاق ودخان السجائر لا يجد فجوة ينفذ منها وأبسط شيء أتوقعه هو أن أجد قراة ملتصقة بعنقي عندما أفتح عيني بعد إغفاءة سريعة أو أجد قملة تسرح على ياقة قميصي بعد أن ارتوت من دمي» (الريبي، ٢٠٠٢: ٤١). فنجد الراوي يصف لنا بيئة السجن وعدم التزامهم بالنظافة والصحة.

في المقابل لم يعطنا رحمت شهير صورة واضحة من الوضع الصحي في السجن، إلا في بعض حواراته التي نستنبط منها أن الوضع الصحي للسجناء أيضاً لا يُجسد عليه، «رغم استحمامه قبل يومين، كانت تفوح من جسده رائحة السجن وملابس السجن البالية، كان عليه أن يلبسها مرة ثانية» (براهني، ١٣٦١: ٤). يبدو في هذا النص كانت المعاناة تكمن في قلة الامكانيات، خلافاً لنص الريبي الذي يشي بوضع مأساوي غير قابل للتحمل.

زنزانة رحمت شهير كانت غرفة مهترئة يتساقط الجص من جوانبها وآثار الذكريات المنقوشة على جدرانها تُعتبر من إمكانياتها المتوفرة التي تنتظر السجن القادم. والمرافق الصحية بسبب عدم اهتمام مسؤولي السجن مليئة بالقذارة والوساحة «ذهبوا إلى المرحاض وكان المرحاض كالمعتاد مليئاً بالأوساخ والقذارة». (المصدر نفسه: ٧٤)

يُعتبر الطعام أيضاً من احتياجات الإنسان الضرورية الذي يقوّي الجسم ويحافظ على صحة السجناء. ففي هذا السياق لابد أن يكون الطعام ذا قيمة غذائية. من وجهة نظر الراوي في الروايتين، لم يكن الطعام في السجن ذا قيمة غذائية مناسبة. تستطيع فهم هذا الموضوع من طريقة وصف كريم الناصري حين يقول «كان الليل في أوله وقد فرغنا لتؤنا من تناول وجبة العشاء اليتيمة التي تتكون من قطع الخبز اليابسة وحفنة تمر الزهدي وبعض المعلبات» (الريبي، ٢٠٠٢: ٥٩). كان الليل في بداياته عندما يوزعون الطعام، وكانت هذه الوجبة تتكون من الخبز اليابس والتمر وبعض المعلبات، وقد كشف الراوي عن مدى تعسّف مسؤولي السجن واضطهادهم للسجناء حيث كانت هذه الوجبة الغذائية هي الوحيدة التي توزّع على السجناء. فمن هنا يتبيّن للقارئ مدى تردي وضع الطعام في هذه السجون.

هذا وقد وصف رحمت شهير بأنّ طعام السجناء كان وجبة يومية مكررة تفتقد للقيمة الغذائية المناسبة: «فتح الباب ودخل السجناء بيده إناء مرقّة «راغو»، كان راغو كالعادة مرقاً من غير لحم وبقايا جلد وشحوم مدقوقة في ماء أحمر، ولكنّ الرائحة تدلّ على أنه مرقّة «راغو» (براهني ١٣٦١: ٧). ولو أنّ في هذا النص ما يشي بوضع أهون للسجناء لكن الأمر لا يختلف بالنسبة لصورة السجن التي رسمها الريبي على لسان بطله.

٣-٣ الحالة النفسية للسجناء

حالة السجناء النفسية في كلتا الروايتين، تحتوي على الشعور بالندم، والشكوى والتذمر واليأس، والخوف، والوحدة والشيخوخة، وقد تناول هذا المقال ثلاث حالات منها نظراً لضيق المقام.

٣-٣-١. الشعور بالندم

غالباً ما يشعر السجين من أجواء السجن الخاصة، بالندم والنفور من أعماله التي كانت سبب زجه في السجن. فيندم قلبياً وفي كثير من الأحيان ينطق بهذا الشعور لسانياً فيعبر عنه. يصل كريم الناصري في السجن إلى نتيجة مفادها أن أهدافه الثورية هي التي جعلته يودع السجن وهي التي جعلته ذليلاً يتجرع الهوان وهي التي جعلته جباناً ضعيفاً في غياب السجون. كريم وصديقه في السجن، حسون السلطان كانا زملاء حزب واحد في السابق لكنهم نادمون على ما فعلوا «وها نحن الآن كالموتى الذين ينتظرون دفنهم، انظر، تأمل، ألا يكسفك وضعنا؟ أ هذه عاقبة النضالات التي اندفعنا فيها وأضعنا من أجلها أحلى سنوات عمرنا؟» (الريعي، ٢٠٠٢: ٦٩)

ندم كريم على محاربه الحكومة لدرجة أنه أخذ على نفسه عهداً بأن لن يعود إلى ذلك العمل بعد إطلاق سراحه «ماذا لو أطلقوا سراحى الآن هل سأحمل السلاح ضدهم؟ إن أول عمل أقوم به هو الذهاب إلى أقرب حانة سكر لأسكر حتى الموت» (نفس المصدر: ٨٩).

ورحمته شهير أيضاً ندم على عمله الذي كان سبباً لدخوله السجن وتعذيبه وتحمل الشقاء والعناء، اعتذر مراراً وقدم لهم الاعتذار مكتوباً وشفهياً: «في لحظة أصابني الجنون، لم أقصد شيئاً، تحصل هذه الأشياء صدفة، لكي اعتذرت لهم فلم يقبلوا عذري» (براهي، ١٣٦١: ٦٠) ندم ولام نفسه على هذه الغلطة التي دمرت حياته الجديدة مع زوجته زهرة: «أنهار الحلم الجميل الذي بناه بخطأ بسيط من أيدي مجهولة. لماذا؟ لماذا؟ لماذا سبّ الشاه؟ لا أعلم. هل كان حقاً يريد سقوط الشاه؟ لا أعلم وإذا سقطت حكومة الشاه من الذي يحكم البلاد؟ لا أعلم. إذاً لماذا فتح فمه؟ وسبّ الشاه بكل قوة؟ لا أعلم» (نفس المصدر: ٥٦). فمن خلال هذا النص يبدو لنا رحمة وهو نادم أشد الندم فكان سبباً للشاه لم يكن عن رغبة باطنية في تغيير النظام بل جاء نتيجة لانفعال تعرض له في موقفٍ محرج، فلهذا السبب قام بالاعتذار منهم مراراً طمعاً في الافراج عنه.

٣-٣-٢ الشكوى والتذمر

السجين وإن توفرت له الظروف المناسبة في السجن، فإنه لم يقتنع بذلك فيبقى يطالب بالحرية والافراج، فكيف إذا كان يعاني في السجن من ظروف قاسية وأوضاع رهيبة، وقد يتعرض للأذى والتعذيب.. فلاشك أنه في هذه الحالة سيتكلم ويشكو. فللهذه الأمور لم تكن أية حبسية خالية من الشكوى والتذمر، ويعتبر هذا الموضوع من الموضوعات الأساسية في الحبسيات. كان كريم الناصري وحسون السلطان يعملان في أحد الأحزاب المعارضة للحكومة وقد سُجنا معا في زنزانة واحدة. كان يناقشان وضعهما الحالي معاً ويقولان إنهما كانا يمتلكان الشجاعة والقوة في الماضي، لكن بعد انتماءهما وحبسهما تحولاً إلى أشخاص جبناء وضعفاء. يصف نفسه حسون بالتفاهة «أنا اليوم حسون آخر، جبان متردد، زائد فماذا تنتظر مني؟ أنتتظر أن

اكلمك عن البطولة؟ أين البطولة هنا؟ كيف أعبر عن وضعنا التافه؟» (الربيعي ٢٠٠٢: ٨٢) «مالذي ربحنا من ديننا وأحزابنا غير المعارك الخاسرة؟» (نفس المصدر: ١٠٩)

بعد الخروج من السجن كان يشكو كريم وضعه الجديد في المجتمع؛ وهذا الوضع كان نتيجة عمله وتعاون مع قوات الأمن، كما كان سبب دخوله للسجن انتماءه إلى الحزب ونضاله السياسي. لذلك إن سبب رفضه وشكواه يعودان لحال المجتمع المتدهور ولجوءه إلى الحزب والنشاطات السياسية. فيشبه نفسه بالخروف الموثق بالحبل الذي لا يستطيع الكلام «أشعر يا حسون وكأنني الآن خروف موثق إلى حبل طويل ولن أرد بشيء غير الثغاء. لم أعد أختار الأشياء بنفسني وأفرض كلمتي برحولة كما كنت أفعل في صباي مع أبناء محلي الذين كانوا يخافوني أكثر من آبائهم ويرجفون ذعرا كلما زجرت وأحد منهم... ويوم أعطيت رأسي للكتب شربت الجبن والتخادل ويوم أعطيته للانتماء عرفت الخيانة والهزيمة. والأجدر بمرتد فاشل مثلي أن يخفي وجهه عن الأنظار» (نفس المصدر: ٧٠).

كما يشتكي رحمت شهير من الوضع الذي يعيشه والذي تسبب له في تحمل أنواع التعذيب، وأيضا تحمله للعقوبات التي أجريت عليه بسبب عمل لا يستحق كل هذه العقوبة وبجانب ذلك الظلم والتجسس من زميل له «هل سبّ الشاه يستوجب كل هذا التعذيب؟ يستطيع الشاه أن يردّ عليه ويسبّه هو وأهله. الرجل الذي أخبر عن رحمت شهير كان بوسعه أن يسبّه [رحمت]. ماذا يحصل لو سبّ رحمت عشر مرات؟ ماذا يحصل لو بدل أن يخبر السافاك باستطاعته أن يعطي رقمه السري ومن ثم يقول أن رحمت سبّ الشاه» (براهني، ١٣٦١: ١٣).

٣-٣-٣ الشعور بالشيخوخة المبكرة

إن الوجود القسري للسجناء وحبسهم بين جدران السجن والتي تحكمهم قوانين خاصة، والعيش مع سجناء مختلفي الأطوار، ومنعهم من الحرية؛ تعتبر هذه الأمور كلها بمثابة تعذيب للسجين. وهذا التعذيب سيؤدي بهم إلى الشيخوخة المبكرة. عندما يرى كريم الناصري وجهه الذابل في المرأة ويتذكر وجهه في الماضي يشمّر منه قائلاً «أحضرت أدوات الخلاقة، وقبل أن أضع الصابون على وجهي، تأملت ملامحي الذابلة فأفزعني. كان وجهي ميتاً كورقة خريفية وقد جفت فيه تلك النضارة التي كانت تشع من بشرته الداكنة، وودت لو أن بامكاني خلع هذا الوجه البالي وارتداء وجهي القديم» (الربيعي، ٢٠٠٢: ٩٣).

ففي هذا النص يصوّر الشاعر ملامحه الذابلة بسبب رضوخه للسجن، فينفر من هذه الملامح ويتمنى التخلص منها. ويستمرّ هذا الاحساس حتى بعد الحرية لكن هذه المرة، الحرية هي التي فرضت هذا العذاب النفسي على كريم لا السجن، فيصاب بحالة نفسية أسوأ مما كان فيه في السجن، حيث يشعر أنه تحرر بسبب اعترافه وتعاونه معهم.

يعتبر كريم مشييه وبياض شعره من أثر التعذيب الذي تحمله في السجن وتورطه بعد الحرية: «قبل أيام قال لي الحلاق إن الشعر الأبيض قد بدأ يظهر في رأسك وأجبت أنه من بقايا جحيم الأعماق. وابتسم من دون أن يدرك أبعاد ردّي. أوه يا حسون لقد شبننا بسرعة ولكننا مجانين دائما نتصور الأمور تماما وكأننا طلاب في المتوسطة» (نفس المصدر: ١١٦).

ومن جانب آخر لقد شاب رحمت شهير من أعباء السجن الانفرادي والتعذيب والتفكير. هذا المشيب لا يقتصر على

ظاهرة فقط، إنما أُنْهَكَتْ الشيخوخة المبكرة من الداخل: «هل السجن الانفرادي، تحمل المرارة لشهور وتحمل الألم وفراق زوجته والخطر الحقيقي من وقوع الطلاق، والمستقبل المرير والمليء بالمخاطر، هذه الأشياء تركت آثارها في ذهنه؟ يعلم أن المشيب بدأ عليه. وللمشيب في هذا السن معنى خاص، ولكن هذا المعنى حقيقي وموجود. فأَيُّ إنسان كَرِحتَ يتحمل هذه المصائب سيشيخ حتماً» (براهني، ١٣٦١: ٨٤). فما تعرّض له رحمت في السجن أيضاً لم يكن أهون من ظروف صاحبه بطل رواية "الوشم"، فمثل هذه الظروف القاسية في السجن، فضلاً عن الإرهاق الفكري تؤدي إلى الشيخوخة المبكرة.

٣-٤ حراس السجن

إنَّ حراس السجن يمثلون الحكومة، ولديهم علاقة مباشرة بالسجناء ولكن هذه العلاقة في الغالب متأزمة وسلبية، بسبب التعذيب والضغط الذي يقوم به الحراس، ولذلك إن هذه العلاقة عدوانية، يحتقن قلب السجن بالحقْد والكراهية منها (ابراهيمى وچولانيان، ١٣٨٧: ١٨).

كأن عذاب رحمت شهير من قبل المحققين الأكثر قساوة وجلدة، بحيث لم يؤثر فيهم صراخ السجناء وعويلهم ولم يؤثر في طبعهم المتوحش ولم يرقّ قلوبهم. عندما يدخل رحمت شهير إلى غرفة التعذيب يتصور المحقق والمُعذِّبين كأنهم حيوانات مفترسة قد أحاطت به، وتنوي قتله: «يحوطه أشخاص تتسارع أنفاسهم الحارة كأنهم حيوانات مفترسة ضخمة وجائعة تقترب منه حتى تنهش جسده» (براهني، ١٣٦١: ٩).

من الواضح أنَّ المحققين في هذه الرواية شأنها شأن العديد من الروايات وأناشيد زمن الاستبداد، ليعاملوا السجناء معاملة طبية وسليمة بل دائماً تكون معاملتهم مبتنية على العداوة والبغضاء. وإذا لوحظ عكس ذلك فهذه التصرفات تكون عن قصد وهدف مشبوه. يشبه رحمت شهير المحقق الثاني الذي أدخل رأسه في الكيس مع وحش ضخم وغريب. والوحش الذي معه تحت الكيس لا يشعر بالاختناق مع ضيق النفس وقلة الأكسجين، عكس رحمت الذي يغمى عليه. من وجهة نظر رحمت إن الحاكم والمحكوم إذا أصبحا في ظروف متساوية سيكون النصر للحاكم «فجأة جاء أحدهم ووضع شيئاً مثل الكيس على رأسه ودخل تحت الكيس ورفع عصا العين، وجه هذا الشخص يبعد بقدر ثلاثة أصابع عن وجه رحمت وتنفوح من فمه رائحة الخمر والأفيون. قارن رحمت في مخيلته وجهه اثنين أو ثلاثة من المحققين مع الوحش المجهول الذي يقبع تحت الكيس معه. لكنه لا يشبه وجوههم. بعدها شعر أنه سيختنق بعد لحظات» (نفس المصدر: ٨٨-٨٧).

الحارس الآخر الذي يسمى بالبيرجندي له معاملة أخرى في طريقة التعذيب. هو جندي من أهل خراسان واسمه الصغير براتعلي وهو من ضواحي مدينة بيرجند، يرجّحه رحمت على سائر الحراس. وعرفه بإسم البيرجندي. هذا البيرجندي كان له دور واضح في قصة رحمت. إن معاملته مع رحمت لا تبدو قاسية كباقي الحراس. لكن الشيء الذي يزعج رحمت نظرات هذا الحارس لزوجه في غرفة الانتظار وتغرله بجمالها من غير وجس. مع ذلك كان يشعر معه بالطمأنينة. حتى وثوقهما بالأصفاذ وضياح المفتاح كان عن قصدٍ، وهذا لعب مخطّط من قبل والبيرجندي هو جزء من هذه اللعبة. وعندما يكشف رحمت وجه

البيرجندي الحقيقي يعرف أنه أكثر وحشية من الحارس الطهراني وأكثر من المحققين والمعذبين. فهو ممثل الذين يتجسسون في الجامعات والمدارس والداوثر، حتى يوقعوا به الطلاب والمدرسين والأساتذة والمثقفين المعارضين للحكومة ويأمر بقتلهم ببساطة. في الحقيقة كانت هذه الأمور تؤدي رحمت وكان عليه أن يقاوم حتى لا يحكم عليه بالمؤبد، وهذه المقاومة لم تكن أمام التعذيب، بل هي صراع بين تيارين: «شعر رحمت أن الحارس البيرجندي أعلى مرتبة وأكثر نفوذا وأكثر وحشية من المحققين وهيئة صدور الأحكام لأنهم بسبب ومن دون سبب يعذبونه ويحاكمونه. شعر رحمت إن قبضة البيرجندي المتهورة وإبهامه الأحمر والمتنفخ يعلق بين سبابته الوسطى. ممثل الوحشية المستمرة، كأنه أخذ هذه المهمة من قوى شيطانية» (نفس المصدر: ٩٧).

٣-٥ التهديد والتعذيب

يوجد التعذيب في كل أنحاء العالم منذ زمن بعيد، ونستطيع القول، إنه من الظواهر والقوانين البشرية القديمة. التعذيب وصمة عار، لم تخل منها الحبسيات والسجون، وعلى الأخص في الآونة الأخيرة. لاريب أن تعذيب السجناء من أبشع ما ابتدئته اليد البشرية إلا ماسه القانون وأحكمه الدين وذلك لحماية المجتمع (ظفري، ١٣٨٠: ١٦٢). السجن هو أداة لقمع أي تمرد وإخماد أي حركة معارضة أو تهديد للنظام الحاكم، وهذا الأمر شائع في العراق وتحدد التنظيمات المتوالية، ويهدد المعارضين السياسيين بالسجن (كاظم، ١٩٩٩: ١٢٨) لكن موضوع التعذيب في رواية الوشم كان ضئيلاً، مع سجن البطل لمدة سبعة أشهر باعتباره سجيناً سياسياً لم تكن هناك إشارة للتعذيب في الرواية. يعترف كريم الناصري من غير ضرب وتعذيب، اقنع بكلمات قليلة: «عند التحقيق قال لي أحدهم: لقد انتهت المسألة وليس هناك مجال للبطولة بعد... كن صادقاً فنحن نعرف كل شيء عن الترميز» (الريعي، ٢٠٠٢: ١١٨).

ولا يصح القول بأن كريم وأصدقائه لم يتجرعوا آلام السجن. الحبس في ظروف صعبة وغير صحية وزحمة السجناء الذين لم يستحموا منذ شهور وضيق المكان، بخذ ذاته هو تعذيب لهم: «جوّ خائف تقوّم منه رائحة الأنفاس وعرق الأجساد التي لم تعرف الاستحمام منذ شهور، والأرض مليئة بالفضلات والبصاق ودخان السجائر لا يجد فجوة ينفذ منها، وأبسط شيء أتوقعه هو أن أجد قرادة ملتصقة بعنقي عندما أفتح عيني بعد إغفائة سريعة، أو أجد قملة تسرح على ياقة قميصي بعد أن ارتوت من دمي» (نفس المصدر: ٤١). من المؤكد أن حضور كريم لمدة سبعة أشهر في السجن لا تخلو من التعذيب والألم. فشعر بتلك الآلام عندما خرج من السجن وقارن أيام اعتقاله في السجن حين كان يمشي في الشارع ويعبر عن تلك الأشهر السبعة، بالشهور المظلمة والمتعبة والجائرة: «تنفس كريم الناصري هواء الشارع بعد اختناق عريض، سبعة أشهر جائرة طوقته بدقائقها ورعبها، هرست منه الدم والعظم والأعصاب» (نفس المصدر: ٣١).

وأما التهديد والتعذيب في رواية "بعد از عروسي چه گذشت؟" فهما واضحان وملموسان أكثر من غيرهما. يبدأ التعذيب في الرواية منذ دخول رحمت شهير السجن: «رفع أحدهم قديمي رحمت شهير فوق السرير المطاطي وقال: استلق وهو فعل ذلك. شعر أن السرير منحدر من جهة رأسه إلى قدميه. ربطوا يديه وقدميه بقوة في جانبي السرير (فوق وتحت) تنهال

عليه الأسئلة حول سببه للشاه ونفس الشخص الذي يستجوبه كان يأمر بجلده سريعاً. لم يكن جلدًا وإنما كان كالبرق الخاطف، وكأنما يوضع جمرة على باطن قدميه» (براهني، ۱۳۶۱: ۱۰-۹).

بعد مرور عدة أيام مازالت آثار التعذيب في جسم رحمت وروحه باقية. ومرة أخرى أخذوه إلى التعذيب وهذه المرة وضعوه في حالة احتناق: «فجأة جاء شخص ووضع شيئاً يشبه الكيس على رأسي ووضع على رأسه أيضاً ورفع العصا عن عينيه. كان وجهه يبعد عن وجه رحمت بقدر ثلاثة أصابع وتفوح من فمه رائحة ممزوجة من الخمر والأفيون. كان سيختنق في الكيس، ويدافع عن نفسه قائلاً: إنكم أخطأتم في إسمي. كان يحاول شرح المسألة للوحش وهو تحت الكيس وفي نفس الوقت شعر أنه سيختنق، ثم أغمي عليه» (نفس المصدر: ۸۷).

والطريقة الأخرى التي يستخدمها السافاك في التعذيب هو جهاز ضغط الأعصاب وسحق السجين نفسياً. فهم ربطوه بجهاز عجيب، كأنه يراد تشغيل هذا الجهاز عن مسافة بعيدة ويبدأ العد التنازلي بثقب سقف الغرفة وكأنه يخرج من السماء العالية، ثم بدأ يرجف فشعر بضغط من كل جانب.. والمكان الذي كان الجهاز يضغط فيه أكثر كأنه قمر اصطناعي يكبر ويصغر في كل لحظة. بدأ يصرخ صرخة مدوية، بعدها شعر باحساس عجيب بأن الصرخات تجيب صرخات أخرى معها في تلك القناة المتداخلة في دماغه والصرخات ركبت عليه وتقوذة على القنوات اللامرئية إلى الأذنين والعيون والركبتين والقلب وخاصةً إلى دماغه» (نفس المصدر: ۹۰-۸۸).

الحبس الانفرادي هو أحد أشكال التعذيب الذي يتلاعب بنفسية السجين. جدران السجن يجد ذاتها هي تعذيب للسجين: «السجين الذي ترك لوحده يتأمل في جريمته و يتعلم كيف ينفر من فعلته، وإذا كان لم يفنيه سوء عمله ويفقده الشعور، سيجلب له الندم في وحدته» (فوكو، ۱۳۷۸: ۲۹۳).

أدرك السافاك أهمية السجن الانفرادي، لذا نقلوه بعد التعذيب إلى السجن الانفرادي حتى يفكر بالأمه الحالية والمصائب التي يمكن أن يُصاب بها في المستقبل، وبين جدران هذا السجن المظلم أرادوا له أن يختلي بنفسه حتى يفكر بالخلاص والتحرر من هذه المصيبة التي وقع فيها، ففي وحدته سيشعر بالندم والخضوع بل التعاون معهم: «عندما فتح عينه لم يعرف المكان في البداية. كان في مكان مستطيل، مساحته متران في متر ونصف، ومصباح معلق يحترق من وراء النافذة المشبكة دائماً. وبقي في هذا المكان لوقت مازالت حالته الصحية غير مستقرة، ولم يكلمه أحد سوى المحقق والحراس» (براهني، ۱۳۶۱: ۹۱-۹۲).

يبدو أن عدم وضوح التعذيب في رواية الوشم كان يعود ليروز الأثر النفسي والفكري لبطل الرواية. هذا يعني أن اعتراف وتعاون بطل الرواية في ظروف السجن التي لم تكن مخرجة وصعبة للغاية وعدم الاختضاع للضغوط والتعذيب، هو تعبير عن مدى التحطم النفسي وإحباط البطل، والدليل هو أنه يعتبر نفسه وزملاءه هم المسجونون في مأساته. ولكن براهني جعل تعذيب السياسيين والمثقفين واضطهادهم، المحور الأساسي لروايته، لأنهم كانوا يقولون للحراس أن المثقفين أعداؤكم، وعليكم تأديبهم: «الحارس المجدور يقول: هؤلاء الملعونون مخادعون. فكلّ الذي يحدث من تحت رؤوس هؤلاء الذين يسمون أنفسهم

بالمثقفين. أعطوني هؤلاء حتى أصنع منهم مثقفين.» (المصدر نفسه: ٧٣).

٣-٦ الاعتراف والاعتذار

كانت لكریم الناصري حوافز كثيرة بشأن الاعتراف حتى تخلص من السجن. يريد أن يجرب الحياة خارج السجن من جديد. يريد أن يشرب الخمر، ويقرأ الكتب ويريد الذهاب إلى المقهى ومعايشة النساء ولا يريد العودة إلى الأحزاب السياسية والتيارات التي كانت سبب ذلك وهوانه في السجن. وإطلاق سراح زملائه خاصة زميله المقرب حسون السلطان، زاد من عزمه للاعتراف: «مرت ثلاثة أيام على إطلاق سراح حسون السلطان واستقبلت صباح اليوم الثالث تحدي الوحشة إلى وجهه المنقبض وسخريته المريرة، ثم اسندت رأسي إلى الجدار مطمئناً وأنا أتصوره بين زوجته وأولاده وهم فرحون به وبعد غيبة سبعة شهور قاتلة... أحس الآن ببطلان وجودي هنا وعمرت بإحساس قانع بأيّ على استعداد لفعل أي شيء مقابل سراحي لألحق بحسون السلطان وأسيل ومجيد عمران، لألحق بالشمس والمقهى والمكتب وأمسيات نادي الموظفين» (الربيعي، ٢٠٠٢: ١١٥).

لم يكن لكریم هدف سوى الخلاص من وضعه الذي هو فيه الآن. النفور من النشاط السياسي والحزب وأعضاء الحزب كلّ هذه الأشياء جعلته يستسلم. يكتب اعترافه دون أي صمود: «عند التحقيق قال لي أحدهم: خذ ورقة وقلمًا وكتب اعترافك ثم أيد الاعترافات التي وردت عليك... وتناولت الورقة والقلم وارتكنت في زاوية الغرفة، وأسندت ظهري إلى الحائط ومددت ساقي تماماً كما كنت أفعل عند كتابة واجباتي المدرسية أيام المدرسة الابتدائية، وأخذت أخطط تارة وأكتب تارة أخرى وكسرت رقاباً جديدة وأمعت في كسر رقاب أخرى، ثم القيت الورقة والقلم وزفرت بقوة» (المصدر نفسه: ١١٧-١١٨).

ينكر رحمت شهير في البداية جرمته فهو يعترف أنه أهان مدير المدرسة التي كان يعمل فيها ولم يسب غيره: «قلت إنني في الحقيقة شتمت هذا الشخص ولم أتحجراً على شتم الشخص الأول في الحكومة "الشاه"» (براهني، ١٣٦١: ٣٤). ولكن بعد فترة وبعد ما تدهورت الظروف، اعترف بأنه قد سب الشاه من غير قصد، وطلب العفو: «أنا قلت لهم إنني أخطأت وخرج الشتم من فمي سهواً وكتبت لهم مراراً أن لا شأن لي بالقضايا السياسية. جعلوني أغضب وطلبت الصفح لعدة مرات» (المصدر نفسه: ٣٤). وعندما يئس المحقق من الضغط على رحمت للاعتراف لجأ للتعذيب حتى يعترف ويتعاون معهم. فقال: يا بن الد...! تسب الشاه أمام التلاميذ، و الآن عجزت عن تحمل العذاب. ثم الذي يأمرهم بالضرب قال: اضربوه حتى يلعن الساعة التي ولد فيها، ثم ضربوه مرة ثانية، و حتى بعد ما لعن الساعة التي ولد فيها، استمروا بالضرب» (المصدر نفسه: ١١).

أحياناً يتحول جسم الإنسان إلى نقطة ضعفه، وفي السجن، يستفيد المعتدون من هذه النقطة ليحصلوا على الاعتراف وهكذا يفقد السجن السياسي قوته جراء التعذيب، ولا يجد سبيلاً ولا مفرّاً غير الاعتراف والندم وطلب العفو.

ولكن علينا أن نشير إلى هذه الملاحظة، أن رحمت شهير تمّ اعترافه والندم تحت ظروف اللجنة القاسية والتعذيب المكرر. لكن كريم الناصري ندم على عمله حين قبض عليه وأدخل السجن أول مرة من دون أي تعذيب وتعنيف من قبل حراس السجن وكان تعاونه معهم من أجل خلاصه من السجن. وهذا هو العمل الذي رفضه رحمت حتى مع استمرار التعذيب الشديد. في الحقيقة نستطيع أن نقول، إن ندامة كريم الناصري واعترافه وتعاونه وهزيمته هو وزملائه كانت رمزاً لهزيمة الحزب وأهدافه المرجوة في حكومة عبدالكريم قاسم. فتحوّلت آمال وأحلام الشعب الذي كان يحلم بالحرية و الخلاص إلى يأس وانكسار. فكان تجسيد هزيمة كريم الناصري وزملاءه الذين فقدوا الأمل في المستقبل واستسلموا تجسيدا لهزيمة أول حكومة جمهورية في العراق والوصول إلى أهدافها. «في بداية الأمر استقبلت أول حكومة جمهورية في العراق بحماس الشعب والأحزاب المختلفة وسرعان ما اتجهت نحو الاستبداد ومرة أخرى تحوّلت آمال الناس وهي الخلاص من ظلم واضطهاد الحكام إلى خيبة أمل ويأس. فالثورة التي كان شعارها الجمهورية والعدالة، بعد انتصارها لم تحمّل إلى الشعب سوى القتل والقمع والفقر» (نعمتی قزوینی، ۱۳۸۹: ۱۶۴).

۳-۷ الحرية مقابل التعاون

النعمة الكبيرة التي يسلبها السجن من السجناء هي الحرية. فقدان حرية التعبير وحرية الانطلاق والحركة، تجعل الإنسان في خوف من التورط في القيود والسجن. والسجين منذ دخوله السجن لا يفكر سوى في الخلاص. عندما يكون وضع البلد متدهوراً ويكون في قبضة الأحزاب، تكون سيادة الحكومة في خطر. فمن أهداف الحكومات من القبض على المعارضين هو أخذ اعترافاتهم وحقّهم على التعاون والعمل معهم مقابل الحرية ومكافئتهم، حتى تصل الحكومة إلى أهدافها.

كريم الناصري كسائر أصدقائه عمل من أجل تحرره من السجن وكان يلوم نفسه على مافعل في الماضي ويعتبر الحزب هو المسؤول عن دخوله السجن. فبهذه الخلفية الذهنية يواجهه مقترح التعاون مع قوات النظام. اقترح قوات النظام أن يخبر المسؤولين عن كل شيء يعرفه عن زملاءه في الحزب. وعليه التبري منهم ومن الحزب والتنظيم ونشر اعترافه في أحد الصحف. بعد ذلك يستطيع أن يعتبر نفسه شخصاً حراً، وبما أن كريم سئم من الماضي، وغير راض من واقعه والمستقبل المجهول له، قبل بهذا المقترح: «إنني كريم الناصري أعلن براءتي من... وسأكون مخلصاً ل...» (الريعي، ۲۰۰۲: ۱۰۲)

فإصدار الحكومة لبيان كريم الناصري في الصحيفة، بالإضافة إلى تصوير شخصية كريم الفاشلة في القصة، يكشف عن تصرفات الحكومة المخزية حيث تستخدم الحكومة وسائل الإعلام للتغطية على أفعالها القاسية خاصة عندما تنشرها المشاهير. وفي القيام بذلك، تشجع الحكومة لفترة الديمقراطية والحرية. والأكثر بدانة للوصول إلى هذا الهدف هم المثقفون مثل كريم الناصري. بسبب شعبيتهم بين الناس، يكون هؤلاء الأشخاص تأثير عميق على تغيير نظرة الجمهور إلى الحكومة الاستبدادية من خلال تأييد أعمال الحكومة وإعلان ولائها لها والنفور من الأحزاب التي لديها خبرة فيها. ومن ناحية أخرى، تسعى الحكومة إلى قمع هوية المعارضين حتى لا يفكروا بالعودة إلى أفكارهم ونشاطاتهم السابقة، بعد الإفراج عنهم. كما أن كريم

الناصري لن ينسى عمله المشين لحظة واحدة؛ عمله الذي كان بمثابة انتصار للحكومة وانكسار كبير له، وشبهه عمله هذا بالقذارة.

يعتبر رحمت شهير جرمته أصغر من أن يتحمل تلك المصائب حيث تم حبسه في اللجنة، كأنهم لم يعتقلوه ليعاقبوه، إنما جعلوا سبب الشاه حجة لكي يتعاون معهم ويعمل لصالحهم. جعلوا من سبب تافه ملفاً كبيراً «قالوا له: لا يكفي الاعتذار فقط، الذي تجرأ على سب الشاه أمام المأى وأمام التلاميذ والمدرسين، بعد تقلد الاعتذار، عليه أن يعوض ذلك السبب وهو التعاون مع السافاك». (براهني، ١٣٦١: ٣٨-٣٧) المقترحات المغربية لرحمت شهير من السافاك للتعاون مع هذه المنظمة لم تقتصر على الحرية فقط، إضافة إلى وعد الحرية، وعدوه بحياة مترفة وخالية من المشاكل مع توفير جميع سبل الراحة. الوصول إلى هذه الحياة تتم مقابل عدة اتصالات هاتفية في الأسبوع بالاستخبارات «إذا وافق على العمل معهم، سيتمكن هذا الوجه أن يتسم وستدوب القيود من معصميه وسيطوق عنق زوجته بذراعيه، سيحملها وسيذهب إلى البيت، من غير أن يعرف أحد عن عمله مع السافاك. كان يكفي أن يتصل بالمحقق في الأسبوع اتصاليين أو ثلاث. ربما يحضر بعض جلساتهم ويعطي رأيه ببعض المواضيع. ثم سيسدد أجر البيت تلقائياً، أو سيشترون له بيتاً وربما أكمل دراسته باللغة الإنجليزية، أو ربما يسافر إلى الخارج ويرى المدن الكثيرة، ونساء حسناوات، ويرى مجتمعات عظيمة كما كان يراها في الأفلام، ويقرأها في الروايات. وكان عليه أن يقدم بين الحينة والأخرى تقريراً عن مجامع الطلاب وتجمعات الأحزاب المخالفة للحكومة إلى السافاك». (المصدر نفسه: ٣٩-٣٨).

لايسأم المحقق من إخضاع رحمت ولا يمل من توجيهه. وعندما يفقد الأمل من إخضاعه، يأتي بزوجه زهرة ويطلب منها أن تقع رحمت: «قال المحقق: السيدة شهير! تكلمي مع رحمت! البكاء والعيول لا يأتي بنتيجة إنما يعمل معنا وإما يجبس، لا يوجد حل آخر» (نفس المصدر: ٥٠).

الضابط البيرجندي أيضاً يحرض رحمت ويسعى لإقناعه للعمل معهم، لكنه يصبر على موقفه: «يقول له: ما الذي يحصل إذا أصبحت أنت مخبراً كغيرك؟ رحمت يقول: لم أخلق لهذا العمل، لو خلقت له فلا بأس، أنا لا علاقة لي بالمخبرين، لكني لا أستطيع أن أكون مخبراً» (المصدر نفسه: ٦٠). كأن الزمان والمكان تعاضداً على أن يصبح رحمت من زمرة السافاك. يوضع رحمت في غرفة الحراسة بحالة يصاب بوسوسة «كان يسمع أصوات ضرب المسجونين وصراخ عمل اللجنة اليومي، ولكن عندما كان في غرفة الحراسة كأنه جالس في مقهى، يدخن السجائر، يسمع النكات، يسمع صوت الترحيب الرجولي «تفضل»، «عفوا سيدي»! كريم يحدث نفسه ويتعجب لعلاقة هؤلاء الحميمة والتياكث من علاقة المدرسين مع بعضهم في المدرسة، كم هم متناسقون ومتفاهمون مع بعضهم! ربما اختارهم السافاك لانسجامهم وتشابهم مع البعض. لو قيل بمقترح المحقق، يصبح في صحبة هؤلاء الناس، ويأكل معهم «كباب» ويضحك على المسجونين، ولا يبالى لصراخ الذين هم تحت أسواط التعذيب» (المصدر نفسه: ٦٢).

النقطة المهمة واللافتة للنظر هنا هو العمل المتواصل من قبل السافاك لإرضاء رحمت للعمل معهم. السؤال الذي يطرح هنا: لماذا السافاك يطرق كل الأبواب ويستعمل كل الأساليب، من تهديد وترغيب وتعذيب لجعل رحمت يتعاون مع جهازهم

الاستخباراتي. هذه الطريقة تشبه طريقة انتشار اعترافات كريم الناصري في الصحف. في الحقيقة نستطيع استنباط الجواب من أفكار الكاتب نفسه، يتضح من هذا إذا كانت الحكومة حكيمة أو حكومة مستبدة ومستعمرة. وإذا كانت مجهزة بكلّ معدات الاستعمار ستمكن من قمع أي تمرد وستحمله إلى الأبد. وأما هذه الحكومة كيف تكون ذكية كالمثقفين وكيف تفشل مخططاتهم؟ تفشل خططهم وتحاربهم من وسطهم (المثقفين) ومن أساليب الحكومة هو اختيار الجواسيس من بين المثقفين حتى يتمكن هؤلاء من صبّ حقد خيانتهم و بذلك بإمكان الحكام السيطرة عليهم، أو تمثل على الشعب البائس دور التشقيف» (براهني، ١٣٦٨: ١٣٠) بعبارة أخرى كان هدف الحكومة من سحق هوية المعارضين السياسيين والمثقفين هو صنع أناس عملاء ومطيعين لها.

٣-٨ نهاية الأبطال

إنّ عنصر الشخصيات من أهمّ عناصر الرواية، لأنّ الشخصية هي المحور الأساس الذي يربط كلّ العناصر السردية ببعض، فيمكن القول إنّ كلّ الأحداث في الرواية تدور حول الشخصية. «يخلق مؤلفو القصص والروايات الشخصية من الواقع المعاش للإنسان، ويظهرون ردود أفعالهم في مقابل سلوكهم وسلوك الشخصيات الأخرى. ويجسدون أحاسيسهم ونفسياتهم وتفاعلاتها مع الأحداث. ويظهرون الشخصية ماذا تفعل وكيف تفكر» (ميرصادقي، ١٣٦٠: ١٧١). لذلك يستخدم الروائيون الشخصية لإيصال هدف ما، أو تفيدهم لنموذج رمزي في الرواية (هاتون، ١٣٨٠: ٧٣). استخدم براهني والريعي في هاتين الروايتين تقنيات تيّار الوعي، وأما في أسلوب وصف الشخصيات اختلف عملهم. رحمت شهير في رواية "بعد از عروسي چه گذشت؟" كانت شخصيته ثابتة، غير متحركة ومنذ القبض عليه وتعذيبه وعلى مدى أحداث الرواية استمرت شخصيته بشكل واحد. احتفظت شخصية رحمت بالسكون في كل الرواية. وقد أظهرت شخصية رحمت في كل أحداث الرواية صموداً وعدم استسلام أمام الذل والتعذيب. ولكن شخصية كريم الناصري في رواية "الوشم" كانت شخصية ديناميكية ولم تطلق أحداث الرواية وكانت في تحول دائم. بعبارة أخرى كريم الذي كانت له أهداف ومبادئ جاهد من أجلها الحكومة، بعد القبض عليه وبعد أن ذاق طعم السجن تخلى عنها وتعاون مع الحكومة. فكان له تحول جذري في أفكاره. ولذلك تحول البطل إلى بطل مهزوم ومنكسر. كما يصفه منصوري بعبارة «بطل بلا بطولة» (منصوري، ٢٠٠٧: ١٩٠) وهذا يعني أن كريم ليس بطلا لا يتصرّف بشكل بطولي فحسب، بل يصبح في نهاية القصة بطلاً مضاداً.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا يخصّ نهاية أبطال الروايتين المختلفة: لماذا لم يرضخ ولم يستسلم رحمت للسفاهك وتحمل أنواع التعذيب، بينما لم يتعرض كريم لظروف قاسية في السجن لكنه استسلم وتعاون مع الحكومة؟ الإجابة عن هذا السؤال تكمن في اختلاف الظروف السياسية السائدة في البلدين؛ أي عندما سجن رحمت شهير كان الشعب الإيراني يتهدّد تدريجياً لتحول عظيم وثورة مهمة، ولذلك في مثل هذه الظروف كان الشعب يرجو تغيير النظام، وهذا الأمر يجعل المعارضين السياسيين ثابتين وصامدين في الاستمرار بمسيرهم. أما في رواية الوشم، فأحداث الرواية تحدث خلال فترة فشل أول حكومة جمهورية

ناضل الشعب العراقي من أجلها.

فشل بعض الأحزاب ومن ضمنها الحزب الشيوعي وعدم تحقيق أهدافه بعد تشكيل الحكومة وتهميشهم من الساحة السياسية ومن ثم مصادمات الحزب مع الحكومة وحلّه في النهاية ثورة عبد السلام عارف عام ١٩٦٣ الذي أدى إلى استبعاد أعضائه ونفيهم وقتلهم الجماعي؛ كل هذه الأمور مهدت الطريق لهزيمة المتحزبين وإحباطهم (الركابي: ٢٠١١: ١٦٦-١٦٧) ونتيجة هذا الإحباط والفشل هو رحيل البطل عن مدينته أولاً ثم مغادرة العراق «ها أنا الآن ماضٍ إلى الكويت، ماضٍ لكي أحيأ أو أموت لا فرق، إن المسألة أصبحت واحدة لدي» (الربيعي، ٢٠٠٢: ١١٦) رحيل كريم عن العراق، يعنى أنه فقد الأمل في إصلاح الوضع السياسي في بلده.

٤- النتائج

بعد دراسة الروايتين، تبين أن المكونات المشتركة لأدب السجون فيهما هي:

- ندم رحمت شهير وكريم الناصري على أفعالهما الماضية، إلا أن ندامة رحمت شهير لا تؤدي إلى الخيانة والتعاون مع السفاك في النهاية، لكن كريم يستسلم في النهاية للهزيمة والخيانة.

- يشكو كل من الأبطال ظروف السجن، إلا أن شكاوى كريم الناصري كانت في الأغلب بسبب أعماله الحزبية والأنشطة التي أدت به إلى السجن.

- العنف والتعذيب هو المحور الأساسي لرواية "بعد از عروسي چه گذشت؟" فقد وصف براهني بطريقة دقيقة وجلية أفعال السفاك الوحشية مع المثقفين المعارضين، ولكن هذا الموضوع لم يوضح في رواية "الوشم" لتبيين مدى تأثير البطل وهزيمته وإحباطه.

- الظروف الصعبة للسجن والتأثير الروحي والنفسي والجسماني الذي ظهر على رحمت شهير وكريم الناصري، فبرغم مرور بضعة أشهر عليهما في السجن، جعلتهما يشيخان بقدر سنين، وهذه الشيخوخة بدت في مظهرهما الخارجي والداخلي.

- الاعتراف والاعتذار عن أفعالهما هو أمر تعامل معه رحمت شهير وكريم الناصري مراراً في السجن بصورة كتابية وشفوية. في حين اعترف رحمت وهو يرضخ تحت التعذيب ولكن اعترف كريم في ظروف لم تكن قاسية. اعتراف كريم حقيقي، وهو انعكاس لعمق الندم من نشاطاته السابقة ولكن اعتراف رحمت كان من أجل ذنب صغير لا يستحق ذلك العقاب الكبير. لم يقبل رحمت شهير مساومة السفاك على التعاون والتجسس على الرغم من إعطائه الامتيازات، وفصل البقاء بالسجن. ولكن كريم الناصري وافق على مقترح الإفراج عنه من غير صلاحيات، كما أعلن عزوفه عن الحزب وإخلاصه للحكومة. هذا الاختلاف نابع من اختلاف الظروف السياسية السائدة في البلدين. فالأول (رحمت) كان لديه أمل بحدوث ثورة وتغيير في البلد ولكن الثاني (كريم) دفع الثمن لفشل ثورة سعى إلى تحقيق أهدافها لعدة سنين.

هذا وإن الغرض من كتابة الروايتين هو انعكاس الوضع السياسي في إيران والعراق، وكيفية تعامل الحكومات مع التيارات

السياسية المعارضة. النقطة التي تستحق الوقوف عندها هي أن الحكومتين الإيرانية والعراقية قد استهدفت هوية السجناء السياسيين المعارضين مع الاختلاف، إن منظمة السافاك استعملت وسائل عديدة كالتعذيب والترهيب والإغراء لسحق هوية رحمت حتى ينضم إليهم ويصبح أحد عملاء الحكومة. ولكن الحكومة العراقية تسعى إلى تدمير وقمع هوية كرم حتى إذا تم إطلاق سراحه من السجن، لا يشكل خطراً عليها. إن نشر اعترافات كرم واعتذاره في الصحف كان لسحق هوية كرم بحيث يلجأ إلى العبث واللعب من أجل الهروب من هذه الأزمة، ويشعر أحياناً بالذلل والهوان ويفكر في الانتحار أحياناً أخرى وفي النهاية قرر مغادرة العراق.

الهوامش

(١) رضا براهني روائي وشاعر وناقد أدبي، ولد عام ١٣١٤ ش في مدينة تبريز، تعلم اللغة الانجليزية في جامعة تبريز ومن ثم حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة الدولية في اسطنبول؛ ثم رجع إلى إيران وعمل أستاذاً في جامعة طهران. وهو أحد مؤسسي رابطة الكتاب في إيران وحصل على جائزة «أفضل صحفي العام في القضايا الإنسانية في الولايات المتحدة الأمريكية» وذلك في عام ١٩٧٧م (براهني ١٣٧٤: ٦٠) فانعكست تجارب براهني السياسية في أعماله (حنيف، ١٣٩٥: ٢٥٠). استفاد براهني من تجاربه في السجن لتسجيل الأحداث التاريخية، كما وقع معظم أحداث "رواية بعد از عروسي چه گذشت؟" ورواية "جاه به جاه" و"آواز مردگان"، في السجن، كما في رواية "رازهای سرزمین من؛" مكانة خاصة للسجن والسجناء السياسيين جرحى النظام البهلوي.

(٢) عبدالرحمن مجيد الربيعي ناقد وروائي وكاتب عراقي ولد في مدينة الناصرية عام ١٩٣٩م (مجموعة محاورين ١٩٨٤: ١١٥) أكمل دراسته في فرع الفن التشكيلي (الفصل، ١٩٩٥: ٢٥٧) كتب في مجلة الأقلام وكان جلّ قراءاته حول عمالقة الكتاب وأدباء العرب. المتعمق في أعمال الربيعي يدرك من جهة أنه تأثر بتطور الغرب في مجال كتابة الرواية ومن جهة أخرى تأثر بأساليب ومناهج الغرب النقدية. فتحتوي أكثر مقالاته النقدية على مضامين ومواضيع واقعية (الحمادين، ٢٠١١: ١٧). كما يشكل التفكير الماركسي والوجودي والقومي سببا أساسيا لمقدرته على الكتابة (الربيعي، ١٩٩٦: ٤٧).

المراجع

العربية

- ١- الحمادين، موسى مبروك، (٢٠١١م)، الروائي ناقدًا عبدالرحمن مجيد الربيعي نموذجاً، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة مؤتة.
- ٢- الربيعي، عبدالرحمن مجيد الربيعي، (٢٠٠٢م)، **الوشم**، الرباط: منشورات الزمن.

- ٣- الركابي، محسن كاظم، (٢٠١١م)، **الحياة الحزبية في العراق (١٩٦٨-١٩٥٨)**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سانت كليمنتس العالمية، قسم التاريخ الحديث والمعاصر.
- ٤- عبدالإله، أحمد، (٢٠٠١م)، **الأدب القصصي في العراق (منذ الحرب العالمية الثانية، اتجاهاته الفكرية وقيمها الفنية)**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- ٥- الفيصل، سمر روجي، (١٩٩٥م)، **معجم الروائيين العرب**، طرابلس: دار جروس برس.
- ٦- كاظم، حسين، (١٩٩٩م)، «أبطال زائفون»، **الحياة الثقافية**، السنة ٢٤، العدد ١٠٦، صص ١٣٥-١٢٧.
- ٧- مجموعة محاورين، (١٩٨٤م)، **مدخل لتجربة عبدالرحمن مجيد الربيعي القصصية**، بيروت: دار النضال.
- ٨- منصور، علي، (٢٠٠٧)، **البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الأدب الحديث، جامعة الحاج لخضر - باتنة - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

الفارسية

- ٩- آباد، مرضيه، (١٣٨٠ش)، **حبسه سرایی در عربی از آغاز تا عصر حاضر**، مشهد: جامعة فردوسی.
- ١٠- ابراهيمي كاوري، صادق ورحيمه چولانيان، (١٣٨٧ش)، «مضامين وموضوعات مشترك در حبسيه های فارسی وعربی»، **مجلة زبان وادبيات فارسی**، السنة ٤، العدد ١١، صص ٣٦-٩.
- ١١- براهني، رضا، (١٣٦١ش)، **بعد از عروسی چه گذشت**، تهران: نو.
- ١٢- _____، _____، (١٣٦٨ش)، **قصه نویسی**، ج ٤، طهران: کتبه.
- ١٣- _____، _____، (١٣٧٤ش)، **گزارش به نسل بی سن فردا**، طهران: تمرکز.
- ١٤- زاهدی فر، طاهره، وديگران (١٣٩٦)، «بررسی مؤلفه های ادبیات زندان در رمان «شرق المتوسط» اثر عبدالرحمن منيف»، **مجلة لسان مبین**، العدد ٢٨، صص ٦٠-٢٩.
- ١٥- حنيف، محمد، (١٣٩٥ش)، **داستان سیاسی داستان انقلاب**، تهران: پژوهشگاه فرهنگ واندیشه اسلامی.
- ١٦- ظفری، ولی الله، (١٣٨٨ش)، **حبسيه در ادبيات فارسی (از آغاز شعر فارسی تا پایان زنديه)**، ج ٣، تهران: امير کبير.
- ١٧- عبدی، عباس، (١٣٩٣ش)، **تأثير زندان بر زندانی، آسیب شناسی اجتماعی**، تهران: قدیانی.
- ١٨- فوکو، ميشال، (١٣٧٨ش)، **مراقبت وتنبيه (تولد زندان)**، ترجمه نیکوسرخوش وافشین جهان دیده، ج ٢، تهران: نی.
- ١٩- میرصادقی، جمال، (١٣٦٠ش)، **قصه، داستان کوتاه، رمان**، تهران: آگاه.

- ۲۰- _____، _____، (۱۳۹۴ش)، بررسی عناصر داستانی، چ ۹، تهران: سخن.
- ۲۱- نعمتی قزوینی، معصومه، (۱۳۸۹ش)، «نقد اجتماعی شعر معاصر عراق»، پایان نامه دکتری زبان و ادبیات عربی، دانشگاه تربیت مدرس.
- ۲۲- هاوتون، جرمی، (۱۳۸۰ش)، پیش درآمدی در شناخت رمان، ترجمه شاهپور بهیان، اصفهان: نقش خورشید.

References

Arabic

- [1] Al-Hamadin, Musa Mabrouk, (2011), 'The Critique of Abdul Rahman Majid al-RubaieNawzwah', The Thesis submitted to obtain a PhD in Arabic Literature, Mutah University.
- [2] Al-Rubaie, Abdul Rahman, Majid al-Rubaie, (2002), *Al-Weshm* (Tattoo), Rabat: Time Publications.
- [3] Al-Rakabi, Mohsen Kazem, (2011), 'Al-Hiya al-Hizbiyyah al-Iraq' (Party Life in Iraq) (1958-1968), Thesis submitted to obtain a PhD in Modern and Contemporary History, St. Clements International University, Department of Modern and Contemporary History.
- [4] Abdullah, Ahmad, (2001), *Al-Adb al-Qasassifi al-Iraq* (Anecdotal literature in Iraq) Intellectual Trends and Artistic Values since World War II, Damascus: Arab Writers Union.
- [5] Al-Faisal, Samar Rouhi, (1995), *Al-Rawayin al-Arab*, (A Dictionary of Arab Novelists), Tripoli: Jarros Press House.
- [6] Kazem, Hussein, (1999), Abtal al-Zayfun (False Heroes), *Cultural Life*, Year 24, Issue 106, Pp. 135-127.
- [7] The Conversation Collection, (1984), *An introduction to the experience of Abdul Rahman Majeed Al-Rabei 'Al-Qasesya'*, Beirut: Dar al-Nidhal.
- [8] Mansouri, Ali, (2007), 'The Political Prisoner Hero in the Contemporary Arab Novel' Thesis submitted to obtain PhD in modern literature, Hajj al-Khadar University – Patneh: College of Arts and Humanities, Algerian People's Democratic Republic.

Persian

- [9] Abad, Marzieh, (2001), *Incarceration in Arabic from the Beginning to the Present Era*, Mashhad: Ferdowsi University.
- [10] EbrahimiKaveri, Sadegh; RahimehCholanian, (2008), "Themes and Common Issues in Persian and Arabic Prisons", *Journal of Persian Language and Literature*, Year 4, No. 11, Pp. 9-36.

- [11] Barahani, Reza (1982), *What Happened after the Wedding*, Tehran: Nau Publication.
- [12] ----- (1989), *Storytelling*, Vol. 4, Tehran: Katibeh.
- [13] ----- (1995), *Report on Anonymous Generation of Tomorrow*, Tehran: Tanarkoz.
- [14] Zahedifar, Tahereh, others (2017), "A Study of Prisoner Literature Components in Abdul Rahman Manif's Novel "Eastern Mediterranean " , *Lesan Mobin Journal*, No. 28, Pp. 29-60.
- [15] Hanif, Mohammad, (2016), *The Political Story of Revolution*, Tehran: Institute of Islamic Culture and Thought.
- [16] Zafari, Valiollah, (2009), *Prisons in Persian Literature* (From the Beginning of Persian Poetry to the End of Zandiyeh), Vol. 3, Tehran: Amir Kabir.
- [17] Abdi, Abbas, (2014), *The Impact of Prison on Prisoner*, Social Pathology, Tehran: Ghadiani.
- [18] Foucault, Michel, (1999), *Care and Punishment (Birth of Prison)*, Translated by Niko Sarkhoush and Afshin Jahandideh, Vol. 2, Tehran: Ney.
- [19] Mirsadeghi, Jamal, (1981), *Story, Short Story*, Novel, Tehran: Aagah
- [20] ----- (2015) *Study of Story Components*, Vol. 9, Tehran: Sokhan
- [21] Nemati Ghazvini, Masoumeh, (2006), "Social Critique of Contemporary Poetry in Iraq", PhD Thesis in Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University, Tehran.
- [22] Houghton, Jeremy, (2001), *An Introduction to Understanding the Novel*, Translated by Shahpour Bahyan, Isfahan: Naghsh Khorshid.

مؤلفه‌های ادبیات زندان در رمان الوشم اثر عبد الرحمن مجید الربیعی و بعد از عروسی چه گذشت نوشته رضا براهنی

معصومه نعمتی قزوینی^{۱*}، صابره سیاوشی^۲، فرشید رحمتی تاب^۳

۱. استادیار زبان و ادبیات عربی پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی

۲. استادیار زبان و ادبیات عربی پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی

۳. کارشناس ارشد زبان و ادبیات عربی پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی

چکیده

ادبیات زندان یکی از شاخه‌های ادب غنایی است که به فراخور شرایط سیاسی و اجتماعی جوامع گوناگون شکل گرفته و روایت‌گر احساسات صادقانهٔ کسانی است که غالباً به جرم آزادی‌خواهی اسیر شده و مورد آزار و شکنجه قرار گرفته‌اند. رضا براهنی (۱۳۱۴ش) و عبد الرحمن مجید الربیعی (۱۹۳۹م)، از نویسندگان معاصر ادبیات فارسی و عربی هستند که در این حوزه صاحب اثر می‌باشند. رمان الوشم تصویری از شکست و سرخوردگی برخی از جریان‌های سیاسی به ویژه حزب کمونیست عراق را پس از شکست اولین حکومت جمهوری در این کشور ارائه داده است. رمان بعد از عروسی چه گذشت نیز به شرح برخوردهای خشنونت‌بار و توهین‌آمیز مأموران ساواک با زندانیان سیاسی در قالب شخصیت رحمت شهیر پرداخته و تصویری از فضای سیاسی دوران محمدرضا پهلوی را منعکس کرده است. پژوهش حاضر با روش توصیفی - تحلیلی و براساس مکتب آمریکایی ادبیات تطبیقی، به بررسی و تحلیل مقایسه‌ای دو رمان برگزیده از منظر ادبیات زندان پرداخته و به این نتیجه دست می‌یابد که هدف هر دو نویسنده از نگارش این رمان‌ها ترسیم فضای روشنفکری و نحوهٔ تعامل حکومت‌ها با روشنفکران در ایران و عراق بوده؛ با این تفاوت که اختلاف در شرایط سیاسی دو کشور، فرجام‌های متفاوتی را برای قهرمانان رقم زده است.

کلیدواژه‌ها: ادبیات زندان، عبد الرحمن الربیعی، الوشم، رضا براهنی، بعد از عروسی چه گذشت

Components of prison literature in the novel *Alvashm* by Abdul Rahman Majeed al-Rubaie and *Bad az Arose che Gozasht* by Reza Barahani

Masoumeh NematiGhazvini^{1*}, SaberehSiavashi², FarshidRahmati tab³

1. Assistant Professor, Arabic Language and Literature, Institute of Humanities and Cultural Studies

2. Assistant Professor, Arabic Language and Literature, Institute of Humanities and Cultural Studies

3. MA Student, Arabic Language and Literature, Institute of Humanities and Cultural Studies

Abstract

Prison literature is one of the branches of literary criticism that has been shaped by various political and social currents and narrating the sincere feelings of those who have often been detained and persecuted for seeking freedom. Reza Barahani (1935) and Abdul Rahman Majeed al-Rubaie (1939) are the contemporary writers of Persian and Arabic literature who are pioneer in this field. The novel *Bad az Arose che Gozasht* (What happened after the Wedding) describes the harsh and insulting attitudes of SAVAK officers with political prisoners in the form of noble character Shahir and reflects the political atmosphere in the era of Mohammad Reza Pahlavi. The novel *Alvashm* also presents an image of the defeat of the first republican system and the return of tyranny to Iraqi society between 1958 and 1963, in the form of Karim al-Nasri's personality. The present study, using a descriptive-analytical method and based on the American Comparative Literature School, examines and compares the two selected novels from the perspective of the prison literature and concludes that the purpose of both writers was to draw the intellectual space and the way governments then interacted with intellectuals in Iran and Iraq, with this difference that the political condition of the two countries have brought different outcomes for the heroes.

Keywords: Prison Literature; Violence; Freedom, *Alvashm*, *What Happened after the Wedding*.

* Corresponding Author's E-mail: m.nemati@ihcs.ac.ir